

القَادَةُ الْأَبْرَارُ

الإِمَامُ عَلِي الرِّضَا (ع)



القادة الأبرار

# الإمام علي رضي الله عنه<sup>(ع)</sup>



الدار الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الثالثة

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

كورنيش الزعرة، بناية الحسن سنتر، الطابق الثاني، هاتف: ٨١٦٦٢٧  
فرع ثاني: حارة خربك، شارع دكاش، هاتف: ٨٣٥٦٧٠  
ص ب: ١٤٥٦٨ - تلخس، ٢٣٢١٢ - غدير



## الإمام علي الرضا (ع)

الاسم : الإمام علي الرضا (ع)  
اسم الأب : الإمام موسى الكاظم (ع)  
اسم الأم : أم البنين  
تاريخ الولادة : ١١ ذي القعدة سنة ١٤٨ للهجرة  
محل الولادة : المدينة  
تاريخ الاستشهاد : ٢٩ صفر سنة ٢٠٣ للهجرة  
محل الاستشهاد : طوس  
محل الدفن : مشهد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الكاظم والرضا (ع) وهارون الرشيد

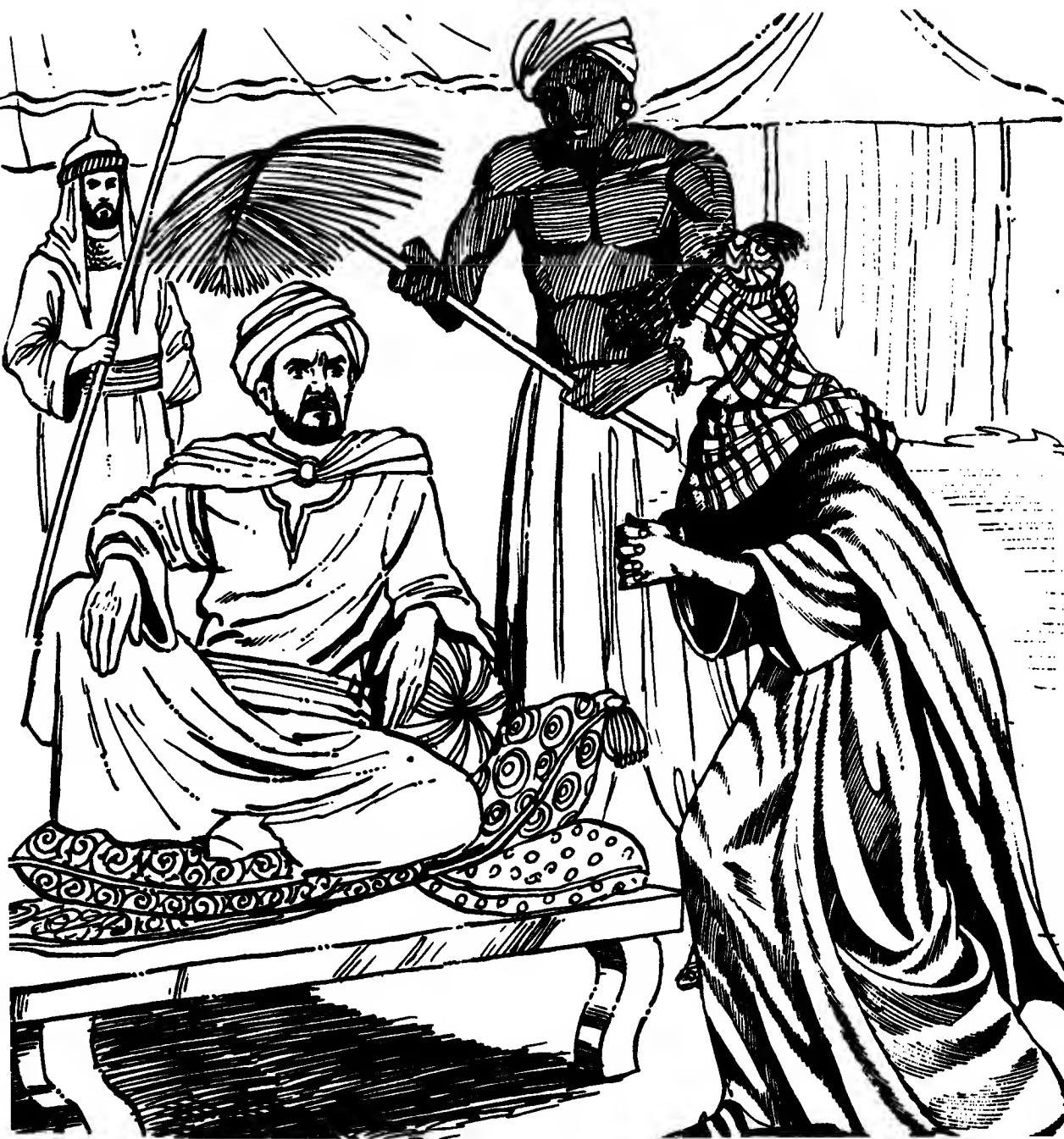
إِنَّ مِنَ السَّهْلِ عَلَيْنَا الْيَوْمَ أَنْ نَسْمَعَ بِاسْمِ «هارون الرشيد» العباسي، وَأَنْ نَسْتَمَعَ إِلَى قِصَّتِهِ، أَمَّا فِي عَهْدِهِ فَلَمْ يَكُنْ الْأَمْرُ كَذَلِكَ. فَقَدْ كَانَ مُجَرَّدُ ذِكْرِ اسْمِهِ كَافِيًا لِنَخْلَعِ الْقُلُوبَ خَوْفًا وَتَجَمُّدَ الْأَنْفَاسِ رُغْبًا، لِمَا عُرِفَ عَنْهُ مِنْ قَسْوَةٍ وَبَطْشٍ بِالْغَيْنِ. وَكَانَ الرَّشِيدُ يَحْكُمُ دَوْلَةً إِسْلَامِيَّةً كَبِيرَةً تُمْتَدُّ مِنَ الْهِنْدِ شَرْقًا إِلَى الْمُحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ غَرْبًا. وَكَانَ يَعْتَبِرُ نَفْسَهُ خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ، لَكِنَّهُ كَانَ يُدْرِكُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ أَنَّ هَذَا الْمَقَامَ لَيْسَ مِنْ حَقِّهِ، بَلْ مِنْ حَقِّ رَجُلٍ آخَرَ يَرْجِعُ أَهْلَ عَصْرِهِ عِلْمًا وَمَعْرِفَةً، وَتَقَى وَصَلَحًا، هُوَ الْإِمَامُ مُوسَى الْكَازِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِذَا فَقَدْ كَانَ يَطْوِي قَلْبَهُ عَلَى أَشَدِّ الْبُغْضِ وَالْعِدَاءِ لَهُ وَلِأُسْرَتِهِ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ. وَاسْتَطَاعَ آخِرًا أَنْ يَرْمِيَ بِهِ فِي سُجُونِهِ، يَتَنَقَّلُ بِهِ - خِلَالَ عِشْرِينَ سَنَةً - مِنْ سِجْنٍ إِلَى آخَرَ، حَتَّى جُرِّئَ

أخيراً على دَسِّ السُّمِّ في طَعَامِهِ والتَّخْلُصِ مِنْهُ.  
وَأَقْسَمَ مِنْذُ ذَلِكَ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقَ أَيِّ امْرِئٍ مِنْ آلِ  
أَبِي طَالِبٍ يَدَّعِي الْإِمَامَةَ بَعْدَ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا  
السَّلَامُ، حَتَّى يَسْتَأْصِلَ شَافَةَ الْإِمَامَةِ (أَيَّ أَصْلَهَا)  
بِالْكَامِلِ، وَمِنْ الْجُدُورِ، لَكِنْ هَيْهَاتَ، فَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ  
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

كَانَ الْإِمَامُ الْكَاضِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَوْصَى بِالْإِمَامَةِ  
لَاِبْنِهِ الْإِمَامِ عَلِيِّ الرِّضَا (ع)، وَمَا إِنْ اسْتُشْهِدَ الْإِمَامُ  
حَتَّى أَعْلَنَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْرَهُ عَلَى رُؤُوسِ  
الْأَشْهَادِ، وَأَنَّهُ الْوَصِيُّ بَعْدَ أَبِيهِ، غَيْرَ عَابِيٍّ بِهَارُونَ  
وغيره من الطُّغَاةِ، مُظْهِراً دَعْوَتَهُ إِلَى اللَّهِ عَلَناً وَدُونَ  
تَرَدُّدٍ، وَاثِقاً مِنْ عَوْنِ اللَّهِ؛ فَخَافَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ، وَقَالَ لَهُ  
أَحَدُهُمْ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ:

يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِنَّكَ قَدْ شَهَرْتَ نَفْسَكَ بِهَذَا الْأَمْرِ،  
وَجَلَسْتَ مَجْلِسَ أَبِيكَ، وَسَيْفُ هَارُونَ يَقْطُرُ الدَّمَ!  
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

جَرَّأَنِي عَلَى ذَلِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص)  
لأَصْحَابِهِ، (لَمَّا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُنْذِرَ عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ  
وَيَجْهَرَ بِدَعْوَتِهِ)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): إِنْ أَخَذَ



أبو جهلٍ من رَأْسِي شَعْرَةً وَاحِدَةً، فَاشْهَدُوا بَأَنِّي لَسْتُ  
بِنَبِيِّ . وَإِنَّا أَقُولُ لَكُمْ : إِن أَخَذَ هَارُونُ مِنْ رَأْسِي شَعْرَةً  
فَأَنَا لَسْتُ بِإِمَامٍ .

كَانَ الْبِرَامِكَةُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَحْرِيسًا عَلَى الْإِمَامِ  
الرُّضَا، بَعْدَ أَنْ نَسَجُوا خُيُوطَ مَوَامِرَتِهِمْ عَلَى أَبِيهِ،  
مُسْتَغْلِينَ حَقْدَ ابْنِ أَخِيهِ عَلِيٍّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ وَحَسَدَهُ لِعَمِّهِ  
الْإِمَامِ الْكَاضِمِ (ع)، وَشَرَعُوا الْآنَ يُعِيدُونَ تَأْمِرَهُمْ  
عَلَى ابْنِهِ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ الْبَرْمَكِيُّ لِلرَّشِيدِ يَوْمًا يُحَرِّضُهُ  
عَلَى الْإِمَامِ :

هَذَا عَلِيُّ بْنُ مُوسَى قَدْ قَعَدَ مَكَانَ أَبِيهِ، وَادَّعَى  
الْأَمْرَ لِنَفْسِهِ، وَقَدْ أَقْسَمْتَ أَنْ تَقْتُلَ كُلَّ مَنْ يَدَّعِي لِنَفْسِهِ  
الْإِمَامَةَ بَعْدَهُ . فَقَالَ الرَّشِيدُ غَاضِبًا : أَوْ مَا يَكْفِينَا مَا  
صَنَعْنَا بِأَبِيهِ بِالْأَمْسِ ، أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَهُمْ جَمِيعًا ؟ !

هَذِهِ الْكَلِمَاتُ مِنَ الرَّشِيدِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يُحْسِ  
بِإِثْمِ مَا ارْتَكَبَهُ مَعَ الْإِمَامِ الْكَاضِمِ (ع)، وَلَكِنَّ  
هَذَا لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ مُحَاوَلَةِ التَّخْلُصِ  
مِنَ الرُّضَا (ع)، وَتَكَرَّرَتْ مُحَاوَلَاتُهُ ؛ لَكِنَّ إِرَادَةَ



اللّٰهُ كَانَتْ تَحَوُّلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُ. قَالَ الْإِمَامُ  
يَوْمًا وَهُوَ يَعْنِي الرَّشِيدَ: وَاللّٰهُ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَعْمَلَ بِي  
شَيْئًا أَكْرَهُهُ، لِكَلِمَاتٍ وَقَعَتْ إِلَيَّ مِنْ جَدِّي رَسُولِ  
اللّٰهِ (ص).

إِنَّ اللَّهَ الْقَدِيرَ مُصَرِّفَ الْأُمُورِ هَيَّأَ لِلْإِمَامِ الرِّضَا  
الْحِمَايَةَ مِنْ جَوْرِ هَارُونَ الرَّشِيدِ، كَمَا هَيَّأَ الْحِمَايَةَ لِبَيْتِ  
الْإِمَامَةِ فِي مَوْقِعَةِ كَرْبَلَاءَ، وَوَهَبَ النِّجَاةَ لِلْإِمَامِ زَيْنِ  
الْعَابِدِينَ مِنْ سُيُوفِ الظَّالِمِينَ.

وَهَلَكَ هَارُونَ الرَّشِيدُ بَعْدَ أَنْ أَوْصَى بِالْحُكْمِ لِابْنِهِ  
الْأَمِينِ، وَمِنْ بَعْدِهِ لِأَخِيهِ الْمَأْمُونِ.

انصَرَفَ الْأَمِينُ إِلَى حَيَاةِ اللّٰهُوِّ وَالْعَبَثِ، وَأَهْمَلَ  
أُمُورَ الدَّوْلَةِ الْمُتَرَامِيَةِ الْأَطْرَافِ. كَمَا غَدَرَ بِأَخِيهِ الْمَأْمُونِ  
وَنَزَعَ مِنْهُ وَلَايَةَ الْعَهْدِ وَجَعَلَهَا لِوَلَدِهِ الصَّغِيرِ مُوسَى مِنْ  
بَعْدِهِ، وَزَادَ هَذَا مِنَ الْأَنْقِسَامِ الْقَائِمِ بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ،  
وَأَنْدَلَعَتْ الْحُرُوبُ بَيْنَ أَنْصَارِهِمَا وَقُتِلَ الْأَمِينُ بِتَيْجَتِهَا،  
وَأَنْتَقَلَتِ السُّلْطَةُ إِلَى الْمَأْمُونِ.

وَلَعَلَّ هَذَا الْأَنْقِسَامَ بَيْنَ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ  
الْحَاكِمَةِ جَعَلَ الْأَمِينَ وَأَعْوَانَهُ يَنْصَرِفُونَ عَنْ مُرَاقَبَةِ

الإمام الرضا (ع)، مِمَّا هَيَّأَ لَهُ فُرْصَةً هَادِئَةً، أَنْصَرَفَ فِيهَا إِلَى آدَاءِ رِسَالَتِهِ وَنَشْرِ مَبَادِيّ الْإِسْلَامِ .

وكانت هذه الحروبُ الدِّمَوِيَّةُ بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ مَثَارَ تَأَمُّلٍ وَتَفْكِيرٍ عِنْدَ النَّاسِ ، الَّذِينَ رَجَدُوا فِيهَا الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ الْأَخَوَيْنِ كُلَّيْهِمَا لَا يَلِيقَانِ بِحُكْمِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَبَدَأَ الْاِلْتِفَافُ مُجَدِّدًا نَحْوَ الْعَلَوِيِّينَ . إِضَافَةً إِلَى نَقْمَةِ الْعَبَّاسِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْمَأْمُونِ لِقَتْلِهِ أَخَاهُ .

### الرَّضَا (ع) وَالْمَأْمُونُ

جَعَلَ الْمَأْمُونُ مَرْكَزَ حُكْمِهِ فِي مَدِينَةِ «مَرَوْ»، اعْتِرَافًا بِفَضْلِ الْخُرَاسَانِيِّينَ الَّذِينَ سَاعَدُوهُ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْحُكْمِ ، وَلَمْ تَمْضِ عَلَى حُكْمِهِ سَنَةٌ حَتَّى بَدَأَتْ الْأَضْطِرَابَاتُ تَعُمُّ أَطْرَافَ الْبِلَادِ، وَقَامَتِ الْاِنْتِفَاضَاتُ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَقُودُهَا الْعَلَوِيُّونَ الثَّائِرُونَ، وَاشْتَعَلَتِ الثُّورَاتُ فِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالْيَمْنَ وَالْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ . وَأَحَسَّ الْمَأْمُونُ بِالْخَطَرِ يُحَاصِرُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَشَعَرَ بِخَرَجِ مَوْقِفِهِ، فَلَمْ يَجِدْ وَسِيلَةً أَجْدَى وَأَنْفَعَ مِنْ تَظَاهُرِهِ بِالرَّغْبَةِ فِي التَّنَازُلِ عَنِ الْخِلَافَةِ إِلَى الْإِمَامِ الرَّضَا (ع)، فَيَرْضَى بِذَلِكَ الْعَلَوِيِّينَ الَّذِينَ يَقُودُونَ الثُّورَاتِ ضِدَّ حُكْمِهِ، وَيَمِيلَ بِهِمْ إِلَى الْهُدُوءِ، وَكَانَ



يَعْلَمُ أَنَّ الْإِمَامَ سَيَرْفُضُ ذَلِكَ رَفْضاً قَاطِعاً، لَكِنَّ وَزِيرَهُ  
الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ شَجَّعَهُ عَلَى ذَلِكَ.

كُتِبَ الْمَأْمُونُ إِلَى الْإِمَامِ الرِّضَا يَسْتَدْعِيهِ إِلَى  
خُرَاسَانَ، وَيَسْتَقْدِمُهُ لَزِيَارَتِهِ فِي «مَرَوْ»، فَكَانَ الْإِمَامُ  
يَتَمَنَّى وَيَتَعَلَّلُ بِعِلَلٍ مُخْتَلِفَةٍ، لَكِنَّهُ أَمَامَ الْحَاجِّ الْمَأْمُونِ  
الْمُتَكَرِّرِ، لَمْ يَرَبُدَّ مِنَ الْاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَتِهِ وَالذَّهَابِ  
إِلَيْهِ، وَكَانَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْرِفُ تَمَاماً أَنَّ ابْنَ  
الطَّاعِيَةِ هَارُونَ الرَّشِيدَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُكَيِّنَ الْمَحَبَّةَ لَابْنِ  
مُوسَى الْكَاطِمِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ بُدّاً مِنَ الْاسْتِجَابَةِ، بَعْدَ  
أَنْ تَأَكَّدَ أَنَّ الْمَأْمُونَانَ لَنْ يَكْفِيَ عَنْهُ.

### سَفَرٌ لَا عَوْدَةَ مِنْهُ

رَافَقَ الْإِمَامُ الرِّضَا رُسُلَ الْمَأْمُونِ إِلَيْهِ مُحَاطاً مِنْهُمْ  
بِالتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ وَسَارَ مَعَهُ بَعْضُ أَعْيَانِ الْمَدِينَةِ  
وَأَشْرَافِهَا، وَتَحَرَّكَ الْمَوْكِبُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى خُرَاسَانَ.  
مُتَجَنِّباً الْمُرُورَ بِالْمَنَاطِقِ الَّتِي يَكْثُرُ فِيهَا مُحِبُّو الْإِمَامِ  
وَأَنْصَارُهُ، كَقَمِّ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمُدُنِ، وَذَلِكَ بِأَمْرِ مِنَ  
الْمَأْمُونِ نَفْسِهِ، وَرَغْمَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ النَّاسُ يَخْرُجُونَ  
لِاسْتِقْبَالِ رَسُولِ اللَّهِ بِكُلِّ شَوْقٍ، وَيُهَلِّلُونَ مُكَبِّرِينَ  
لِرُؤْيَيْهِ، وَيَتَزَاحَمُونَ لِلتَّزَوُّدِ مِنْهُ بِنَظَرَةٍ.



لاحظ الإمام عليه السلام أن هناك محاولة للتفريق بينه وبين الناس ، فكان يتحين الفرص للتحديث إليهم . ولما وصلت قافلته إلى «نيسابور» خرج أهلها لاستقباله ، وهم الذين كانت رؤية حفيد رسول الله (ص) حلماً بالنسبة إليهم ، وها هي عيونهم تكتحل بمرآه ، فالأمر واقع وحقيقة وليس حلماً ، وزحفت المدينة برجالها ونسائها لاستقباله ، دون أن ينتظروا وصوله إليهم ، فالشوق عظيم والحدث كبير .

كان علماء المدينة وأعيانها يتطلعون إلى فرصة تمكنهم من سماع حديث الإمام ، لكن غليان الناس وحرارة استقبالهم لم تمكنهم من ذلك ، فصرخوا بالناس يدعونهم إلى الهدوء . وبعد أن صمت الجميع ، رفع الإمام ستائر هودجِه ، وأطل عليهم بوجهه الصبوح ، فارتفعت أصواتهم من جديد ، لكنهم بإشارة منه عادوا إلى الهدوء ، وتوجه الجميع إليه بأسماعهم يلتقطون كل حرف يقوله ، وكان على الإمام أن يقول لهم كل شيء . وعليه أن يتوخى الحكمة والحذر ، وأن يوجز في حديثه لأن الفرصة قصيرة . قال عليه السلام :

حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى الْكَاضِمُ، عَنْ أَبِيهِ  
جَعْفَرِ الصَّادِقِ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ  
زَيْنِ الْعَابِدِينَ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ شَهِيدِ كَرْبَلَاءَ، عَنْ أَبِيهِ  
عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ:

حَدَّثَنِي حَبِيبِي وَقُرَّةُ عَيْنِي رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَنْ  
جَبْرِئِيلَ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَبَّ الْعِزَّةِ سُبْحَانَهُ يَقُولُ:

«كَلِمَةٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي  
أَمِنَ عَذَابِي».

كُتِبَ الْأَلُوفُ مِنْ رُؤَاةِ الْحَدِيثِ قَوْلَ الْإِمَامِ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ، وَهُوَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُتَّفِقِ عَلَيْهَا بَيْنَ  
الْمُحَدِّثِينَ، وَهُوَ مِنْ رِوَايَةِ الطَّاهِرِينَ عَنْ آبَائِهِمُ  
الطَّيِّبِينَ، وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَقُولُ: لَوْ قُرِئَ هَذَا  
الْإِسْنَادُ عَلَى مَجْنُونٍ لَأَفَاقَ.

وَتَحَرَّكَ الْإِمَامُ مِنْ نَيْسَابُورَ «لِيَتَابَعَ رِحْلَتَهُ إِلَى  
«مَرَوْ»، حَيْثُ الْمَأْمُونُ يَسْتَعِدُّ لِمُقَابَلَتِهِ وَالْحَفَاوَةُ بِهِ،  
وَلَمَّا وَصَلَهَا أَنْزَلَهُ مَنْزِلًا كَرِيمًا، مُحَاطًا بِكُلِّ مَظَاهِرِ  
التَّقْدِيرِ وَالِاخْتِرَامِ.

اسْبَشَرَ النَّاسُ خَيْرًا بِمَقْدَمِ الْإِمَامِ (ع)، فَقَدْ  
تَخَيَّلُوا أَنَّ الْمَاضِيَ الْبَغِيضَ قَدْ وَلَّى إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ،

كَلِمَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حُسْنِي  
وَمَنْ دَخَلَ حُسْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِ





وَأَنَّ أَيَّامَ الْخِلَافِ وَالْإِقْتَالَ قَدْ انْتَهَتْ، فَهَا هُوَ الْمَأْمُونُ  
يَسْتَعْدُّ لِإِرْجَاعِ الْحَقِّ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَهَا هُوَ صَاحِبُ  
الْحَقِّ قَدْ أَقْبَلَ، وَسَتَعْدُو الْأَيَّامُ رَحِيَّةً سَهْلَةً، لَكِنَّهُمْ  
كَانُوا وَاهِمِينَ، فَالْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْرِفُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ  
أَنَّ الْمَأْمُونِ غَيْرُ جَادٍّ فِي عَرْضِهِ، وَأَنَّهُ يَتَظَاهَرُ بِالرَّغْبَةِ  
فِي التَّنَازُلِ عَنْ الْحُكْمِ لِأَمْرِ فِي نَفْسِهِ، وَإِذَا تَجَاوَزْنَا  
الْمَأْمُونِ إِلَى بَطَانَتِهِ وَأَجْهَزَتِهِ حَوْلَهُ، لَرَأَيْنَا أَنَّهُمْ أَحْرَصُ  
عَلَى الْمُلْكِ وَالْجَاءِ وَالذَّنْيَا، لِذَا فَقَدْ رَفَضَ الْإِمَامُ  
عَرْضَ الْمَأْمُونِ، فَمَا كَانَ مِنَ الْمَأْمُونِ إِلَّا أَنْ عَرَضَ  
عَلَيْهِ وَلايَةَ الْعَهْدِ بَعْدَهُ، وَالْعَرْضُ الْجَدِيدُ لَمْ يَكُنْ حُبًّا  
بِالْإِمَامِ، وَمِثْلًا إِلَى الْحَقِّ، بَلْ هُوَ تَغْطِيَةٌ لِمَآرِبٍ  
أُخْرَى، فَالْمَأْمُونُ يَرْمِي مَنْ وَرَائِهِ لِلْحَصُولِ عَلَى  
شَرِيعَةٍ لِحُكْمِهِ، كَمَا يَرْمِي إِلَى إِسْكَاتِ الثَّائِرِينَ عَلَيْهِ،  
وَمَرَّةً ثَانِيَةً يَرْفُضُ الْإِمَامُ عَرْضَهُ، فَيُلْحِقُ الْمَأْمُونُ وَيُهْدَدُ،  
وَيُوعِنُ فِي تَهْدِيدَاتِهِ حَتَّى التَّلْوِيحِ بِالْقَتْلِ، بَلْ  
التَّصْرِيحِ بِهِ، وَيُرْوَى أَنَّ الْمَأْمُونَ قَالَ لِلْإِمَامِ حِينَ رَأَى  
امْتِنَاعَهُ عَنِ الْقَبُولِ بِمَا يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: إِنَّكَ تَتَلَقَّانِي أَبَدًا  
بِمَا أَكْرَهُهُ، وَقَدْ أَمِنْتُ سَطَوَتِي، فَبِاللَّهِ أَقْسَمُ لَنْ قَبِلْتَ  
وَلايَةَ الْعَهْدِ إِلَّا أَجْبَرْتُكَ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنْ فَعَلْتَ وَإِلَّا  
ضَرَبْتُ عُنُقَكَ.

كَانَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَوَقَّعُ كُلَّ هَذَا، كَانَ يَعْرِفُهُ  
حِينَ دَخَلَ مَسْجِدَ جَدِّهِ الرَّسُولِ فِي الْمَدِينَةِ يُودِّعُهُ،  
وَيَقُولُ وَهُوَ يَبْكِي : إِنِّي أَخْرُجُ مِنْ جِوَارِ جَدِّي  
رَسُولِ اللَّهِ (ص)، وَأَمُوتُ فِي غُرْبَةٍ. كَانَ يُدْرِكُ ذَلِكَ  
وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى خِرَاسَانَ مَغْلُوباً عَلَى  
أَمْرِهِ.

وَأَخِيرًا فَلَمْ يَجِدْ أَمَامَ الْإِمَامِ الْحَاحِ الْمَأْمُونِ وَتَشَدُّدِهِ بُدْأً  
مِنَ الْقَبُولِ، إِنَّمَا بِشُرُوطٍ لَا مَنَاصَ مِنْهَا، فَقَالَ  
لِلْمَأْمُونِ : أَنَا أَقْبَلُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ لَا أُولِيَ أَحَدًا، وَلَا  
أَعَزَلَ أَحَدًا، وَلَا أَنْقَضَ رِسْمًا وَلَا سُنَّةً، وَأَكُونُ فِي  
الْأَمْرِ مِنْ بَعِيدٍ مُشِيرًا.

رَضِيَ الْمَأْمُونُ، وَتَمَّتْ الْبَيْعَةُ لِلْإِمَامِ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ،  
بِحَضُورِ الْوُزَرَاءِ وَالْقَادَةِ وَالْأَعْيَانِ، وَحَشْدٍ كَبِيرٍ مِنَ النَّاسِ .  
وَوَزَعَ الْمَأْمُونُ الْأَمْوَالَ وَالْهَدَايَا عَلَيْهِمْ، وَتَزَاوَمَ الشُّعْرَاءُ  
عَلَى تَقْدِيمِ مَدَائِحِهِمْ.

وَبِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ ضَرَبَ الْمَأْمُونُ الدَّرَاهِمَ وَطَبَعَ عَلَيْهَا  
اسْمَ الرِّضَا (ع). وَصَارَ الْخُطَبَاءُ يَفْتَتِحُونَ خُطْبَتَهُمْ بِالذُّعَاءِ  
لِلْمَأْمُونِ وَالرِّضَا (ع).



وَفِي خُرَاسَانَ عَقَدَ الْإِمَامُ مَجَالِسَ الْمُنَازَعَةِ مَعَ الْعُلَمَاءِ  
وَالْأَطِبَّاءِ وَغَيْرِهِمْ ، فَكَانَ عِلْمُهُ وَسَعَةُ اطِّلاَعِهِ مَبْعَثًا لِعَجَبِهِمْ ،  
وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَحْضُرُ بَعْضَ هَذِهِ الْمَجَالِسِ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ  
يُخْفِيَ غَيْظَهُ وَحَسَدَهُ لِمَكَانَةِ الْإِمَامِ ، رَغْمَ ادِّعَائِهِ تَشْجِيعَ  
الْعُلُومِ وَالْأَبْحَاطِ ، وَكَانَ الْإِمَامُ حِينَ يَرَى مِنْهُ ذَلِكَ ، يَخْتَصِرُ  
أَحَادِيثَهُ وَيُوجِزُهَا مَا أَمَكَنَهُ ، خَاصَّةً وَآلَهُ أَدْرَكَ أَنَّ الْمَوْكَلِينَ  
بِأُمُورِهِ وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِ كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ عِيُونًا لِلْمَأْمُونِ عَلَيْهِ ،  
فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتْلَوِي مِنَ الْأَلَمِ ، وَيَتَمَنَّى لِنَفْسِهِ الْمَوْتَ  
لِيَتَخَلَّصَ مِنْ حَيَاةٍ تَحِيطُ بِهَا الْمَكَارَةُ ، وَكَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنْ  
كَانَ فَرَجِي مِمَّا أَنَا فِيهِ بِالْمَوْتِ فَعَجِّلْهُ لِي السَّاعَةَ .

### صَلَاةٌ لَمْ تَتِمَّ :

لَمَّا حَضَرَ عِيدَ الْفِطْرِ فِي السَّنَةِ الَّتِي عَقَدَ فِيهَا الْمَأْمُونُ  
وَلَايَةَ الْعَهْدِ لِلْإِمَامِ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ بِالرُّكُوبِ  
إِلَى الْعِيدِ وَالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ وَالْخُطْبَةِ بِهِمْ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ  
الرُّضَا : لَقَدْ عَلِمْتُ مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الشَّرْوَطِ فِي دُخُولِ  
هَذَا الْأَمْرِ (يَعْنِي قَبُولَهُ لَوْلَايَةِ الْعَهْدِ) ، فَأَعْفِنِي مِنَ الصَّلَاةِ  
بِالنَّاسِ . فَالْحَ عَلَى عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ تَطْمِئِنَّ  
إِلَيْكَ قُلُوبُ النَّاسِ ، وَيَعْرِفُوا فَضْلَكَ . فَأَجَابَهُ الْإِمَامُ إِلَى طَلْبِهِ  
عَلَى شَرْطِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلَاةِ كَمَا كَانَ يَخْرُجُ إِلَيْهَا

رسولُ الله وأميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالبٍ من بعده، فقال  
لَهُ المأمونُ: اخرجْ كيف شئتَ. ثمَّ أمرَ القوادَ والحُجَّابَ  
والنَّاسَ أَنْ يُكِّرُوا إلى بابِ الرِّضَا (ع)، ليرافقوه إلى  
الصَّلَاةِ.

وصباحَ العيدِ وقفَ النَّاسُ في الطُّرُقَاتِ وعلى السُّطُوحِ  
يَنتَظرونَ خروجهُ، ووقفَ الجندُ والقادةُ على بابِهِ وقد تزيَّنوا  
ورَكِبُوا خيولهم. قامَ الإمامُ فاغتسلَ ولَبَسَ ثيابهُ، وتعمَّمَ  
بِعِمَامَةٍ بِيضَاءٍ مِنْ قُطْنٍ، فألقى طَرَفاً مِنْهَا على صدره وطرفاً  
بينَ كَتِفَيْهِ، ومَسَّ شَيْئاً مِنَ الطَّيِّبِ، وقالَ لِمَنْ مَعَهُ: افْعَلُوا مِثْلَ  
مَا فَعَلْتُ، فخرجوا بينَ يَدَيْهِ وَهُوَ خَافٍ قَدْ شَمَّرَ سَرَاوِيلَهُ، فرفعَ  
رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ وقالَ: اللهُ أَكْبَرُ، فَكَبَّرَ مَعَهُ النَّاسُ، ولَمَّا رَأَى  
القادةَ والجندُ على تِلْكَ الصُّورَةِ، تَرَجَّلُوا عن خيولهم،  
وَنَزَعُوا أَحْذِيَّتَهُمْ مِنْ أَرْجُلِهِمْ، وَمَشَوْا خَلْفَهُ حُفَاةً، ثُمَّ كَبَّرَ  
الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَبَّرَ مَعَهُ النَّاسُ، وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ  
بِالتَّكْبِيرِ حَتَّى سَمِعَتْ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ، وَضَجَّتِ الْمَدِينَةُ  
بِالْمُكَبِّرِينَ، وَخَرَجَ النَّاسُ مِنْ مَنَازِلِهِمْ، وَازْدَحَمَتْ بِهِمْ  
الشُّوَارِعُ والطُّرُقَاتُ بِشَكْلِ لَمْ تَشْهَدْهُ «مَرَوْ» مِنْ قَبْلُ، وَصَدَقَ

فِيهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

ذَكَرُوا بِطَلْعِكَ النَّبِيِّ فَهَلَّلُوا      لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ الصُّفُوفِ وَكَبَّرُوا

حَتَّى انْتَهَيْتَ إِلَى الْمُصَلَّى لَا بَسًا نُورَ الْهُدَى يَبْدُو عَلَيْكَ وَيُظْهِرُ  
وَمَشَيْتَ مَشْيَةً خَاشِعٍ مُتَوَاضِعٍ لِلَّهِ لَا يَزْهُو وَلَا يَتَكَبَّرُ  
وَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمِنْبَرُ

كَانَ الْمَأْمُونُ يُرِيدُهُ أَنْ يَخْرُجَ لِلصَّلَاةِ كَمَا يَخْرُجُ  
الْمُلُوكُ، تَخَفُ بِهِمُ الزِّيْنَاتُ وَمَعَالِمُ الْعِظَمَةِ، وَيَسْتَغْلِقُونَ  
الْمُنَاسِبَةَ لِعَرْضِ قُوَّتِهِمْ وَهَيْبَتِهِمْ فِي النَفُوسِ، بَيْنَمَا يَرَى  
الْإِمَامُ أَنَّ لِلْمُنَاسِبَةِ قَدَاسَتَهَا الرُّوحِيَّةَ، تَرْفَعُ فِيهَا آيَاتُ  
الْخُضُوعِ وَالْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَتَرْتَفِعُ الْأَصْوَاتُ بِحَمْدِهِ  
وَالْتَّكْبِيرِ لَهُ، وَشَتَانُ بَيْنَ مَا أَرَادَ الْمَأْمُونُ وَمَا فَعَلَهُ الْإِمَامُ، فَمَا  
كَانَ مِنَ الْمَأْمُونِ إِلَّا أَنْ بَعَثَ إِلَيْهِ يَقُولُ:

لَقَدْ كَلَّفْنَاكَ شَطَطًا (أَيَّ زِيَادَةً عَنْ الْحَدِّ) وَاتَّعَبْنَاكَ يَا بَنَ  
رَسُولِ اللَّهِ، وَلَسْنَا نَحِبُّ لَكَ إِلَّا الرَّاحَةَ، فَارْجِعْ،  
وَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ مَنْ كَانَ يُصَلِّي بِهِمْ.  
فَرَجَعَ الْإِمَامُ (ع)، لِأَنَّ هَذَا هُوَ مَا يَتَمَنَاهُ.

### أَمُوتُ فِي غُرْبَةٍ

مِنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَقَدْ رَأَى الْمَأْمُونُ تَجَاوُبَ النَّاسِ مَعَ  
الْإِمَامِ، وَكَيْفَ كَانَ تَوَجُّهُهُمْ إِلَيْهِ عَمِيقًا، أَحْسَّ بِالْمَرَارَةِ  
تَغْلِي فِي أَحْشَائِهِ، وَتَذَكَّرَ أَيَّامَ أَبِيهِ هَارُونَ الرَّشِيدِ مَعَ الْإِمَامِ

الكاظم عليه السلام، وكان يرى حفاوة الرشيدي البالغة بالإمام، وإكرامه له، وهو (أي المأمون) لا يعرفه، فسأل أباه قائلاً: من هذا الرجل الذي عظمتُه وقُمتَ من مجلسك لأجله، وجلستَ بين يديه؟ قال الرشيدي: هذا إمام الناس، وحجة الله على خلقه، وخليفته على عباده. فقال المأمون: أليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟! فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق، والله يابني إنه لأحق بمقام رسول الله مني ومن الخلق أجمعين، فقال له المأمون: إذا كنت تعرف ذلك فتتح عن الملك وسلمه لأصحابه، فقال: يابني إن الملك عقيم، والله لو نازعتني فيه لأخذت الذي فيه عيناك.

تذكر المأمون هذه الواقعة مع أبيه، ولا يزال صدى العبارة الأخيرة يرن في مسامعه: والله لو نازعتني فيه لأخذت الذي فيه عيناك.

وماله يسلط على هذا الملك رجلاً يلتف الناس حوله إذا حضر، وتهفو إليه قلوبهم إن غاب، يجلونه ويقدرونه؟! أليس أبوه الذي قال: إن الملك عقيم؟ أليس بالأمس القريب قتل أخاه وعشرات الألوف من الناس في سبيل هذا الملك؟

تَذَكَّرْ كُلَّ هَذَا وَصَمِّمْ أَمْرًا، صَمِّمْ أَنْ يُرِيحَ نَفْسَهُ مِنْ هَذَا  
الْهَمِّ الَّذِي جَلَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِيَدَيْهِ، وَقَرَّرَ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ  
الْإِمَامِ.

وَلَمْ يَطُلْ الْأَمْرُ كَثِيرًا، وَكَانَ قَدْ مَضَى عَلَى الْإِمَامِ فِي  
وِلَايَةِ الْعَهْدِ مَا يَقْرُبُ مِنْ سِتِّينَ، حِينَ اسْتُشْهِدَ مَسْمُومًا،  
وَاتَّهِمَ الْمَامُونُ بِقَتْلِهِ، لَكِنَّهُ أَنْكَرَ التُّهْمَةَ، وَأَظْهَرَ عَلَيْهِ الْأَسَى  
وَالْحُزْنَ. وَكَانَ اسْتِشْهَادُهُ سَنَةَ ٢٠٣ لِلْهَجْرَةِ بِطُوسَ، وَدُفِنَ  
فِي مَشْهَدَ. وَيَخْتَلِفُ النَّاسُ لِزِيَارَةِ قَبْرِهِ مِنْ جَمِيعِ أَنْحَاءِ  
الْعَالَمِ. وَيُرَوَّى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ زَارَنِي فِي غُرْبَتِي كَانَ مَعِيَ  
فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ.

\* \* \*